

## كلام في السياسة

## أعوام الجنون: من مذكرة أوباما إلى مسرحية فيينا

جان عزيز

بلاد ما بين نهري نهر دم. وبين الثلاثة حضارة تدفن كل يوم. تبقى سوريا، بوصلة العاصفة وسهم اتجاه ريحها. هنا استمرت الحرب خمسة أعوام كاملة، بلا هدنة ولا انهيال. بلا أفق ولا شفقة. حتى تعب العالم ولم تتعب الحرب ولا أهلها. تعب الجراد ولم تتعب الضحية. ذهب أهل القرار بالحرب إلى البحث عن حلول. فيما حطب الحرب مستمر في الاستعارة بلا هوادة.

الذي قدر له أن يشاهد ناظري سياسات العالم في فيينا يبحثون عن أفق ما خلفوه من نار دمشق، يدرك أي عبثية ومجانبة تدار بها سياسات كوكينا. كان المشهد السوريالي تحت مسمى سوريا، لكنه كان في العمق حول مضمون كل منطقتنا البائسة. الأميركي كان كمن يدير حلقة نقاش تلفزيونية حول خلافات عائلية أو فضائح جنسية، يتسم، يضحك، يحاور يناور يساير، بلا التزام ولا عناية. كأنه مجرد وسيط ينتظر عمولته عن صفقة تبرم وفق قانون تجارته، أياً كان مؤداها. الروسي، ثقل عظيم صاحب موقف ورؤية ومشروع. وصاحب تاريخ يرى المستقبل من خلاله. الأوروبي مجرد ظل لماضيه ولحاضر الأميركي. تنسى أنه هناك. حتى هو نسي نفسه وحضوره مراراً، إلى حد الاستغراق في غفوة في حماة السجالات. الأمم المتحدة، موظف، يكتفي بضبط المحضر. «شيء» ما كما سماها ديغول قبل نصف قرن. التركي أت من السلطنة وذاهب إليها في الوقت نفسه، متوتر على غير عمق ولا تروء. يخاطب الغرب كحليف سابق، ويخطب ود الشرق كشريك من طرف واحد. يتخطب في خطابه كمن نسي مشية ولم يتعلم أخرى. الخليجي، بعاموده الفقري وملحقاته المشيخية. أرعن لا يملك غير صفة المكابرة والأستعلاء. أرصدة كبيرة بعقول صغيرة وخيارات متكلسة. أن يكملوا القتال حتى آخر نقطة من دماء الآخرين ومن ثروات شعوبهم. يبقى الإيراني، كان هناك كمن يحتفل بانتصار أنه كان هناك. يسجل النقاط، يراكم الحوارات والانفتاحات والتفاهات، ولا يقدم أي تنازلات.

على هذه المشهيدة المعبرة اختتم العام 2015. لا بل انتهى نصف العقد وعصر الثورات المجرية والتجارب المخربة. وعلى استنتاجات تلك المشهيدة يقرأ الزمن الآتي، بدءاً من العام 2016: تسويات تعيد الشرق إلى نصابه، بلا أحلام ولا تغيير. على قاعدة إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. أو قاعدة ما كتبه أحد المحافظين الجدد بعد ثورات ما بعد 11 أيلول، من أن الأفكار التي ذهبنا بها إلى الشرق، يجب حفظها في خزنة تحت عنوان: «أفكار مفيدة غير قابلة للتطبيق»... كل سنة وعقد وأكثر، وشرقنا بألف خير ولا خير!

كأن الذي نفخ الفوضى في منطقتنا، قد تعب منها بعدما أنهك المنطقة وأتعبته فوضاها واستنفدت توازن العالم طيلة خمسة أعوام. هكذا، بدا أن نصف عقد من عواصف الربيع كانت كافية ليقتنع المغامرون والمقامرون بأن الشرق هو الشرق. وأن ناسه هم ناسه. وأن تاريخه هو الدم وأن جغرافيته هي الله وملحقاته، فلا ثورة تنفع ولا انقلاب يجدي ولا حول ولا قوة... مع انقضاء النصف الأول من العقد الثاني لآلفية البشر الثالثة، يبدو أن مقارنة أولية ستكون ممكنة، بين هذا النصفين. بين 2011 و2016. بين سنة الانهيارات وتهافت الجنون. وبين سنة التسويات المتلمسة وفنون التشاطر على إخفاء الهزائم وانكسارات الأوهام والأطماع. سنة 2011 جاءنا حلم الربيع الأميركي على صهوة الحراكات الملونة ونموذج تلامذة نجم الدين أربكان ومشروع «أخوة» المنطقة بالتآلف الممكن والمرجو مع صهينتها. يومها كتب أوباما مذكرته السرية تلك. قال لأركان حرب وصناع قرار العالم، أن تعبنا من شرق الحاكم المستبد. تعبنا من أن نحمل على أكتافنا إسرائيل واحدة معلنة، وإلى جانبها نصف دزينة من الاسرائيليات المقنعة والمستترة. فلنرفع أيدينا عن تلك الدول الدمى. ولنتركها تتخبط في مكوناتها الحقيقية. ولننتظر ما يمكن أن يولد منها. على أن نبقي ضابطين اثنين لتلك اللعبة: أمن إسرائيل وخطوط النفط. ما تبقى فليدخل برمته دوائر الطرد المركزي لساحات الناس هناك، أو أجهزة الجذب لمكبوتات عقود من اللامجتمع واللاذولة وبؤس الشعوب واستبداد أنصاف الآلهة.

خمس أعوام من تجارب الثورات والحروب، خلفت أكثر من 350 ألف قتيل. مع ما يماثلها من جرحى. مع نحو ستة ملايين مهجر من أوطان المنطقة إلى خارجها. فضلاً عن تغيير في خرائط الجغرافيات والديمقراطيات الداخلية. وصولاً إلى ولادة مسخ إرهابي منبثق من تشوهات قرون سحيقة، كانت مدفونة تحت قمع الديكتاتوريات وتحت تسويغ التيقراطيات العائلية وتحت فحش الثروات النفطية وتحت عباءات وعمامات.

بعد خمسة أعوام، من يقدر على وضع الجردة الختامية والمحصلة النهائية؟ مصر، لا تزال هي هي. دولة من التاريخ العريق العميق، تبحث عن فروع يحكمها، تحت طائلة الجوع. تونس، مجتمع مشدود صوب أوروبا، يتفكر في علمانيته الجينية على نار الأصولية والصوفية. ليبيا، صحراء تحترق بشمسها ومجتمعات ما قبل الدولة فيها، ولا يتأثر برميل النفط المورد إلى حيث يجب أن يصل، من دون أن تصل عائداته إلى إنسان تلك الأرض. العراق كربلاء مستمرة، باسم يزيد أو حجاج أو صدام أو بغدادي.

## ونحن ننفذ

التل وتأهيل كورنيش الميناء وتنفيذ خط سكة الحديد الذي يربط مرفأ طرابلس بالحدود السورية». ويشير إلى أن قيمة هذه المشاريع تبلغ 64 مليون دولار، «ولو أتينا بهذه الأموال ورميناها في شوارع طرابلس لكان ذلك أفضل من لا شيء»، علماً بأن انتقادات كثيرة طالته لتمسكه بمشروع المرفأ الذي تفوح منه رائحة سمسرات، ولأن وزارته لم تتحرك كما ينبغي لمعالجة مشكلة الفقر في المدينة التي تشهد موجة واسعة من الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا. وعن موضوع النازحين السوريين في لبنان، يرى أن «قرار وقف اللجوء للسوريين حقق ما ربه. وما فعلناه أننا لم نغلق

للمهورية من 8 آذار». يعرب درباس عن أسفه للسجل السياسي القائم الذي يلبس لبوساً طائفياً ومذهبياً. وفي رأيه، «الوجود المسيحي في لبنان ضماناً للمسلمين فيه بكل مذاهبهم، سنة وشيعة ودروزاً، لأن هذا الوجود هو ما منع لبنان أن يصبح دولة استبدادية كما هي حال غالبية دول الجوار والمنطقة».

في السياسة، يوصف درباس نفسه «وسطياً» خارج كتلتي 8 و14 آذار. ويؤكد: «لست من حصة أحد، ولا أخذ إنناً مسبقاً من أحد لأقول ما أقتنع به، ولا أقدم تقريراً بعد انتهاء كل جلسة للحكومة، لأن لا مرجعية سياسية لي». لكنه يشير إلى «أنني أتواصل» مع الرئيس فؤاد السنيورة. أما قصة توزيعه فـ«قديم» وتعود إلى أيام الرئيس الراحل رفيق الحريري الذي اتصل به يوم كان نقيباً للمحاميين، «وقال لي: عندما تنتهي ولايتك استعد لتوزيع، لأنني أوزر النقيب السابقين!!» لذلك، يؤكد «لم أخذ مكان أحد في الحكومة، لا مصباح الأحمد ولا محمد كبرارة ولا سمير الجسر».

ويلفت إلى أن الرئيس الحريري اتصل به مع تأليف حكومة الرئيس تمام سلام ليلبغته تسميته لوزارة الداخلية قبل تبدل الوضع وتسلم نهاد المشنوق لها. بعدها كان مقرر أن يتسلم وزارة العدل، لكن رفض اللواء أشرف ريفي لوزارة الشؤون الاجتماعية جعل الأخيرة ترسو عليه. ورغم أن توزيعه أثار حساسية مستوزرين كثر في طرابلس، يشدد على أن «علاقتي مع جميع سياسيي طرابلس جيدة، بمن فيهم الرئيس نجيب ميقاتي، وهو صديق وأكن له احتراماً».

الوضع العام في طرابلس حالياً محل ارتياح لدى درباس «لأنه لا جولات عنف فيها ولا أزمة نفايات كما في بيروت». لكنه يبدي انزعاجه من الاعتراضات على بعض المشاريع: «قاتلت حتى أؤمن تمويلاً لبعض المشاريع، وتحديداً مرأب سيارات ساحة

## رئيس الجمهورية القوي يكسر الكرسي، والروساء الناجحون لم يكونوا أقوياء

أبواب لبنان أمامهم، بل فقط رفضناهم كلاجئين». لكنه يغمز من أن بعض الوزراء والنواب المسيحيين الذين هؤلوا لمخاطر النزوح السوري، ومنهم أعضاء في التيار الوطني الحر، كانوا «يتصلون بي لتسهيل دخول سوريين للاستعانة بهم كعمال». ويضيف «نتعاطى مع النازحين السوريين لاحتواء تداعيات ومضاعفات وجودهم في لبنان، ومنعها من التفاقم». معتبراً أن «كرم أخلاق النازحين السوريين هو ما يمنع من توتير الوضع في لبنان على كل الصعد، ولأنه أيضاً لم يقم أحد باستخدامهم في الصراع الداخلي، أو في نقل الصراع السوري إلى لبنان، لأنه لو حصل ذلك لكنا تخطينا أبواب الجحيم».

(مروان طحطح)



بتسليم بقضاء الله وقدره ننعى إليكم وفاة المغفور لها بإذن الله فقيدتنا الغالية

المرحومة الحاجة خديجة حسين عواضة  
(أرملة المرحوم الحاج علي حسين زبيب)

أولادها: المحامي حسين زبيب (عضو المجلس الاستشاري في حركة أمل) زوجته سناء وهبي الصحافية هدى  
حسن زوجته سامية برو  
سلوى زوجها نزيه أبو عجرم  
الصحافي الزميل محمد زوجته الصحافية مايا رجال  
الشهيد المرحوم عادل (خلدون)  
فاطمة زوجها حسن طباجا  
المحامي هادي زوجته الكاتب بالعدل منال عطية  
الآنسة ميساء

أحفادها: المحامي علي زبيب زوجته الدكتورة دانه سليمان، المهندس عادل زبيب، رزان أبو عجرم، عادل زبيب، جاد طباجا، لين زبيب، ربال أبو عجرم، نور وسما وعلي وسلام وروان زبيب  
أشقائها: الحاج محمد، والمرحوم علي، وعبد الرحمن عواضة  
شقيقاتها: المرحومة زينب زوجة المرحوم مصطفى نور الدين، المرحومة زهرة زوجة الحاج رضا دايبخ، الحاجة سهام زوجة الحاج صلاح نعمة، المفتشة الإدارية فاطمة عواضة  
صلي على جثمانها الطاهر أمس في بلدتها تفاحتا. تقبل التعازي طيلة أيام هذا الأسبوع في منزلها في تفاحتا، وتقام ذكرى مرور الثالث الأحد في 03 كانون الثاني 2016 في حسينية تفاحتا الثانية والنصف بعد الظهر. وتقبل التعازي في بيروت الإثنين في 04 كانون الثاني 2016 في جمعية التخصص والتوجيه العلمي الرملة البيضاء، قرب أمن الدولة من الثالثة حتى السادسة مساءً.  
الأسفون آل زبيب وآل عواضة وعموم أهالي بلدتي تفاحتا ومحرونة.